

يهودية إسرائيل؛ نظرة مفهومية تحليلية إلى الفكر اليهودي المتطرف

هاني البسوس*

ملخص: تحاول هذه الدراسة بحث قضية يهودية دولة إسرائيل، ومفاهيمها، ودوافعها، وأثر ذلك في القضية الفلسطينية، لكونها من القضايا الأخطر على القضية الفلسطينية في ظل الصمت العربي والإسلامي، وترى الدراسة أن تطور المشروع الصهيوني في المرحلة الحالية في إسرائيل يعتمد على فكرة يهودية الدولة، التي تسيطر على الفكر اليهودي الأصولي المتطرف. بدأ العمل الأساسي لصياغة فكرة يهودية الدولة ضمن خطة إستراتيجية في مؤتمر هرتسليا الأول الذي انعقد عام 2000م، على أنه إحدى ركائز الفكر الصهيوني، وتخلص الدراسة إلى أن أحد أهم أسباب قيام إسرائيل هو تأكيد يهودية الدولة، ووجود أزمة هوية فيها.

* جامعة السلطان
قابوس، عمان

Israel's Jewishness:

Conceptual and Analytical View to the Extreme Jewish Thought

HANI ALBASOOS*

ABSTRACT This study is trying to discuss the issue of Jewish Israeli State, Israel's motives and perceptions, and the impact on the Palestinian cause. The paper argues that the current development of the Zionist project in Israel depends on the Jewish State idea that dominates the Jewish extremist fundamentalist ideology. The groundwork for the formulation of a Jewish State started within the strategic plan at the Herzliya Conference held in 2000 as one of the pillars of Zionist thought. The study concludes that one of the main reasons that Israel is a Jewish State certainly is having an identity crisis.

* Sultan
Qaboos
University,
Oman

رؤية تركية

2016 - (5/4)

162 - 143

برز مصطلح يهودية إسرائيل في السنوات الأخيرة بوتيرة متسارعة، على الرغم من أنه ظهر في أدبيات المؤتمر الصهيوني الأول الذي أنهى أعماله في نهاية أغسطس 1897م في مدينة بازل السويسرية. وقد بات مصطلح يهودية الدولة يمثل في الآونة الأخيرة جوهر ومضمون الغايات والأهداف الكبرى لإسرائيل، وتحولت مقولة الدولة اليهودية بصورة غير مسبقة ولا معهودة إلى القاسم المشترك بين معظم التيارات والكتل والأحزاب والاتجاهات السياسية والاجتماعية والثقافية في إسرائيل.

وترى القيادة الإسرائيلية أن يهودية الدولة تُفرض بالأمر الواقع، وبإنشاء حقائق على الأرض. وعلى الرغم من أن الصفة اليهودية للدولة، بمحتواها العنصري الذي يتبناه المشروع الصهيوني، تتعارض مع القيم الإنسانية والقوانين الدولية، إلا أن هناك توافقاً أو موافقة ضمنية من الدول الغربية تؤكد المعايير المزدوجة لسلوكها، وتعاملها مع إسرائيل بصفتها دولة فوق القانون. ويأتي الإصرار الإسرائيلي على يهودية الدولة في سياق السعي إلى ضمان استمرار المشروع الصهيوني، بغض النظر عن أيّ تغيرات مستقبلية. وحالياً يجعل نتيما هو رئيس الوزراء الإسرائيلي اعتراف الفلسطينيين بيهودية إسرائيل شرطاً لموافقة حكومته على قيام دولة فلسطينية.

وقد عُقد في إسرائيل خلال الفترة ما بين عامي 2000 و2014م اثنا عشر مؤتمراً إستراتيجياً في هرتسليا، إضافة إلى مؤتمرات وندوات إستراتيجية في مراكز بحوث إسرائيلية. وكثيراً ما أكد المؤتمرين في توصياتهم ضرورة إعطاء الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة أهمية فائقة؛ نظراً إلى تراجع موجات الهجرة اليهودية بعد عام 2000م، في مقابل النمو الطبيعي المرتفع بين العرب، سواء داخل فلسطين المحتلة عام 1948م أم في الضفة الغربية وقطاع غزة. وتبعاً لذلك، ركزت وسائل الإعلام الإسرائيلية على أهمية تهمة الظروف لجذب المزيد من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة لتحقيق التفوق الديموغرافي على الفلسطينيين داخل إسرائيل، وانصبّ الاهتمام الإسرائيلي على محاولة جذب يهود الهند والأرجنتين، بعد أن واجهت إسرائيل أزمة هجرة حقيقية خلال سنوات انتفاضة الأقصى من جهة، وجفاف الهجرة من الدول ذات مؤشرات التنمية البشرية المرتفعة، مثل أميركا وكندا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من دول العالم، من جهة أخرى¹.

إن مفهوم إسرائيل الخالصة أو الكيان اليهودي هو هواجس يراها اليهود ضمن مخطط لتطهير إسرائيل المستقبلية من أي جنس آخر من غير اليهود، مثل الوجود الفلسطيني المتزايد داخلها. ومن هنا تتضح المحاولات المتتالية والخطيرة لإسرائيل بانتزاع موافقة دولية للاعتراف بها دولة يهودية وما يترتب عليه من مزايا، كأن تصبح هي مالكة الأرض الأصلية وقاطنتها، ويصبح الفلسطينيون متطفلين، أو جماعة إرهابية تحاول انتزاع الأرض منهم، وهذا ما يُفسّر الممارسات القمعية داخل فلسطين المحتلة 1948م، وضد الفلسطينيين في مدينة القدس.



مفهوم يهودية إسرائيل:

يهودية دولة إسرائيل تعني إقامة دولة يهودية خالية من أي عرق مختلف، تامة العنصرية، قائمة على الدين اليهودي، ولا يُسمح لأيّ ديانة أخرى أن تقتحم هذه الدولة، ومن هنا تكمن أهمية هذا المصطلح، الذي افتعله القادة الكبار من اليهود، بتكرار الحديث عن جذور دولة إسرائيل ونشأتها². وقد سُمّيت دولة إسرائيل بهذا الاسم؛ لأن قادة الصهاينة آنذاك لم يكونوا من المتدينين أصلاً، فأسموها كذلك على أنها دولة ديمقراطية؛ لكسب رأي المجتمع الدولي، والتأييد من الدول العظمى، إلى جانب أنهم لم يكونوا متأكدين تماماً إلى أي مدى سينجح مشروع جلب يهود العالم للإقامة في فلسطين. لذلك، احتفظوا باسم الدولة اليهودية إلى الوقت الذي يستطيعون فيه الإعلان عن ذلك.

تُعرّف وزارة الخارجية الإسرائيلية دولة إسرائيل بأنها "هي أولاً وأخيراً دولة يهودية وديمقراطية في ضوء حق الشعب اليهودي في دولة مستقلة واحدة تابعة له في ضوء العلاقة التاريخية المذكورة في التوراة بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل"³، لكن هذا التعريف الذي يجمع بين يهودية الدولة وتأكيد ديمقراطيتها يثير التناقض، وقد كان بعض بذور الديمقراطية السياسية الحديثة زرع خلال المراحل المبكرة من التاريخ اليهودي اعتماداً على جملة من المبادئ والقيم الأساسية التي شكلت ركيزة الديمقراطية، بصفتها أحد محاور الفكر اليهودي قوياً وعملاً منذ أكثر من ألفي عام، ومع ذلك كان التركيز عند إنشاء الكيان الصهيوني على أنها دولة ديمقراطية⁴.

وينسجم موقف الولايات المتحدة الأمريكية مع هذه الفكرة، حيث إنه عندما تضمن نص الاعتراف الأمريكي بإسرائيل عام 1948م كلمة (يهودية)، قام الرئيس الأميركي حينذاك هاري ترومان بشطبها بخط يده واستبدالها بكلمة إسرائيل، وهو ما يدل على أن

تعرّف وزارة الخارجية الإسرائيلية دولة إسرائيل دولة يهودية كانت مرفوضة حتى من أقرب حلفائها، على عكس تصريح الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن الذي قال: "لكن دولتان، واحدة للفلسطينيين تكون منزوعة السلاح، والثانية دولة يهودية هي إسرائيل" مؤكداً أنها "دولة مدنية علمانية ولكن ذات مرجعية يهودية"، وما يمارسه الرئيس الأمريكي باراك أوباما الذي يدعم المطلب الإسرائيلي الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية، مخالف للدستور الأمريكي والقيم الديمقراطية التي من المفترض أنها ترفض العنصرية والتمييز على أساس الدين⁶.

وتجدر الإشارة إلى أن التفهم الأمريكي والأوروبي لفكرة الدولة اليهودية جاء تعويضاً عما جرى لليهود في أثناء الحرب العالمية الثانية، علماً أن حل المسألة اليهودية على حساب فلسطين لم يكن فقط من أجل تعويض اليهود أو تكفيراً عن الذنب، وإنما أيضاً للحفاظ على مصالح الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية في هذه المنطقة الحساسة والإستراتيجية من العالم.

بحسب موقع إسرائيل باللغة العربية، فإن هوية الشعب اليهودي أو (شعب إسرائيل) هي انبثاق لخماسية مقدسة؛ القومية الوطنية، والشعب، والدين، والحضارة، واللغة. لذلك، فإن فهم العقيدة الإسرائيلية بحسب الاعتقاد اليهودي تكون من خلال قراءة تاريخ هذا الشعب وتاريخ الشرق، حيث سكن الشعب العبراني أرض إسرائيل منذ القدم، وأنزلت التوراة على نبيهم في جبل سيناء، وأقام حضارته إلى جانب ممالك وحكومات كبيرة. اليهود يعدّون أرض إسرائيل التاريخية موطنهم الوحيد وبيتهم الطبيعي والتاريخي، وإن لم يطلبوا فرض ديانتهم أو لغتهم أو تقاليدهم⁷. لذلك، فإن اليهودي الذي يرغب في الهجرة إلى إسرائيل يتعرض لعملية بحث واختبار قاسية لإثبات يهوديته قبل أن يُقبل مواطناً إسرائيلياً، وقد شهدت إسرائيل على مدى سنوات جدلاً كبيراً وحاداً لتعريف من هو اليهودي؟ وقد استُبعد منه في النهاية كل من ليست له أم يهودية، حتى لو كان أجداده لوالده جميعاً من اليهود.

مصطلح يهودية الدولة يتزايد الترويج له وبقوة داخل النخب الحاكمة والمسيطرة في إسرائيل. ويبدو أن تراجع طموحات المشروع الصهيوني الأول الذي أكد يهودية الدولة العبرية بات يجد صداه اليوم عند الأحزاب السياسية الإسرائيلية بمختلف أطرافها، وكذلك قطاعات واسعة من المؤسسة السياسية والعسكرية الإسرائيلية. ويبدو أن الهدف من طرح هذه الفكرة اليوم هو تكريس يهودية دولة إسرائيل وترسيخها، أي أنها دولة لليهود لا لمواطنيها، وهذا يكرس تعريفها العنصري. كان رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أرييل شارون ممن عمّموا المصطلح القديم الجديد، وذهب إلى القول إن حدود إسرائيل من البحر الأبيض المتوسط في

الغرب إلى نهر الأردن في الشرق، ولن تكون إسرائيل إلا دولة يهودية نقية لليهود في إسرائيل وكل العالم⁸.

مع ذلك، فإن مئات الآلاف من اليهود الإسرائيليين لن يعودوا إلى إسرائيل، ولا سيما أن غالبيتهم تحمل جنسيات دول أخرى في العالم، وبخاصة الأميركية والأوروبية منها. وتبعاً لأزمة الهجرة اليهودية، بفعل تراجع العوامل الجاذبة، تسعى المؤسسة الإسرائيلية بالتعاون والتنسيق مع الوكالة اليهودية إلى تمويل حملة كبيرة ومنظمة لجذب اليهود من الأرجنتين، وأثيوبيا، والهند، وجنوب أفريقيا، بينما باتت أبواب هجرة يهود أوروبا وأميركا الشمالية في حدودها الدنيا؛ بسبب انعدام عوامل الطرد منها. وتجدد الإشارة إلى أن يهود العالم يتركزون بشكل رئيس في الولايات المتحدة، فمن بين 13 مليون يهودي في العالم هناك 5.5 ملايين يهودي في الولايات المتحدة.

ونتيجة عدم وجود عوامل طاردة لليهود من بلد المنشأ، وكذلك عدم القدرة في تهيئة ظروف حقيقية جاذبة لليهود العالم باتجاه إسرائيل، فإنه يمكن الجزم بأن مؤشرات جفاف الهجرة اليهودية ستطفو على السطح بوضوح خلال السنوات المقبلة. ولذلك طرح قادة إسرائيل فكرة ترسيخ يهوديتها وتعزيزها على أنها عامل جذب لليهود العالم. ويعد ذلك بمثابة الهدف الإستراتيجي الأهم من وراء طرح ومحاولة تعميم الفكرة المذكورة وترسيخها.

ويبقى القول إن المؤسسة الإسرائيلية تسعى إلى ترسيخ فكرة يهودية الدولة من خلال إصدار مزيد من القوانين التي من شأنها انتزاع مساحات جديدة من الأرض الفلسطينية وتهويدها من جهة، وتهيئة الظروف للإحلال بالواقع الديموغرافي لصالح اليهود في المستويين الكمي والنوعي من جهة أخرى. وبطبيعة الحال فإن نجاحات المؤسسة الإسرائيلية أو إخفاقها على الصعيد المذكور مرهونة بإرادة الفلسطينيين وقدرتهم على مواجهة التحديات التي تعصف بقضيتهم، وفي مقدمتها محاولة تعميم يهودية إسرائيل وترسيخها على الأرض⁹، وكذلك مرهونة بتجدد النزاعات حول الطابع اليهودي في إسرائيل، حيث هناك من يؤمن أن هذه الدولة لن تتحول إلى دولة دينية؛ لأن معظم الساسة المتدينين ملتزمون بدولة يهودية وديمقراطية¹⁰.

وقد وجد استطلاع رأي أجراه المعهد الإسرائيلي للديمقراطية عام 2002م أن 22% من اليهود الإسرائيليين ملتزمون دينياً بمن فيهم الأرثوذكس المتشددون والأرثوذكس الأكثر اعتدالاً، لكن يفوقهم عدداً بفارق كبير الإسرائيليون غير الملتزمين دينياً، الذين يشكلون 78%. وأضاف الاستطلاع أن الوضع سيصبح أكثر صعوبة في أن تكون مواطناً في إسرائيل إذا كنت مهاجرًا وغير يهودي وقيماً إذا كنت عربياً، وهو ما يعني أن عرب إسرائيل الحاصلين على الجنسية، والذين يشكلون خمس السكان يشكون من التمييز العنصري. وقد يركز اليهود الأرثوذكس في الوقت الحالي على تشجيع بناء المستوطنات اليهودية أكثر من السعي لفرض التعاليم الدينية. قالت النائبة من حزب ليكود تسييفي حوتوفلي، وهي مرشحة مؤيدة

للمستوطنين: إنه يتعين على زملائها من أعضاء الكنيسة الأرثوذكس أن يركزوا على قضايا الأمن، وعلى رفض الضغوط من أجل التخلي عن الأرض (التوراتية) التي احتلتها إسرائيل في حرب عام 1967 للفلسطينيين. وتابعت "مهمتنا هي أن نقود رؤية عالمية لليهودية، وأن نحافظ على أرض إسرائيل."¹¹

لم يعد من الممكن في العالم قيام دول على أساس ديني أو عرقي، لكن إسرائيل تعتقد أنها ليست مثل بقية العالم، وما ينطبق على الدول الأخرى لا ينطبق عليها، لذا فإن دولة اليهود يجب أن تختلف عن بقية الدول، التي يقطنها بقية البشر، "فمثل هذه الدول يجب أن تقوم على العدل والمساواة بين جميع المواطنين بصرف النظر عن الدين، الذي ينتمون إليه أو العرق الذي ينحدرون منه، ولا توجد قوانين في بقية الدول تنصّ على أن غير المسيحيين لا يستطيعون الهجرة مثلاً إلى السويد أو ألمانيا أو إيطاليا، ولا على أن غير البوذيين أو الكونفوشييين أو السيخ لا يستطيعون العيش في اليابان أو الصين أو الهند، أو أن غير المسلمين والعرب غير مسموح لهم بالتجنس بالجنسية المصرية أو اللبنانية أو التونسية"¹². تعدّ إسرائيل نفسها حالة خاصة؛ لأنها دولة لليهود، واليهود وحدهم الذين لهم الحق في التجنس بجنسيتها، بينما يُرفض التجنّس على أساس الديانات الأخرى، ولو أن هذا المواطن غير اليهودي ذاته رُفِض طلب تجنّسه في أي دولة أخرى غير إسرائيل لعدّ المجتمع الدولي مثل هذا الرفض القائم على أساس ديني أو عرقي انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان، ولو صمّت الدولة الراضة له بأنها دولة عنصرية متعصبة، بينما لا ينطبق ذلك على إسرائيل؛ لأنها كما يقول العديد من دول العالم الدولة الوحيدة الديمقراطية في المنطقة، أما الدول الأخرى متعددة الديانات والأعراق فهي دول ديكتاتورية متعصبة¹³.

وقد تكون إسرائيل ديمقراطية بالنسبة لمواطنيها من اليهود، لكنها ليست كذلك مع غيرهم، فهي دولة مفتوحة لكل يهودي في العالم كي يتوطن ويتجنس بجنسيتها¹⁴. وبحسب رأي المحلل السياسي ديمتري شومسكي "فإن السيادة اليهودية القومية قائمة استناداً إلى مبدأ أساسي للأيديولوجيا الصهيونية الذي ينص على أن أرض إسرائيل هي الوطن التاريخي للشعب اليهودي"¹⁵. إسرائيل تنظر إلى نفسها على أنها دولة يهودية ديمقراطية. وتقديم الصفة اليهودية على الديمقراطية ليس عبثاً، فهي دولة يهودية بالنسبة للفلسطينيين، وديمقراطية لليهود فقط. جرت ترجمة هذا الأمر من خلال حزمة من القوانين، أهمها قانون العودة الذي يعطي الجنسية الإسرائيلية لليهودي بمجرد أن تطأ قدماه أرض فلسطين¹⁶، وهذا يُشكل سياسة عنصرية ضد الأقلية العربية داخل إسرائيل، وضد اللاجئين الفلسطينيين في أماكنهم المختلفة، سواء داخل فلسطين التاريخية أم في المنافي¹⁷.

تاريخ يهودية إسرائيل:

بدأت فكرة دولة إسرائيل من كتاب ألفه (ثيودور هرتزل) عام 1895 م أسماه (الدولة اليهودية)، شرح فيه أفكاره حول المسألة اليهودية، والحلول المناسبة لها، وكان أساساً لظهور الصهيونية السياسية وتأسيس هذه الحركة بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا

عام 1897م، وانتخاب هرتزل رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية. انعقد المؤتمر الذي ضمَّ كلَّ التجمعات الصهيونية في العالم، وكان بمثابة الإعلان الأول عن إنشاء الدولة اليهودية، وقد استعمل في هذا المؤتمر تعبير (الوطن) لأسباب دبلوماسية، بينما كان الهدف الحقيقي وراء هذا المؤتمر منذ البداية هو (الدولة اليهودية)، وكانت الوسائل لتحقيق هذا الهدف هي استعمار فلسطين عن طريق العمال والمزارعين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة، وتقوية الشعور والوعي عند اليهود.

بدأت فكرة دولة إسرائيل من كتاب ألفه (ثيودور هرتزل) عام 1895م أسماه (الدولة اليهودية)، شرح فيه أفكاره حول المسألة اليهودية، والحلول المناسبة لها، وكان أساسًا لظهور الصهيونية السياسية وتأسيس هذه الحركة بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام 1897م

بدأ هرتزل محادثات مع شخصيات عديدة من دول مختلفة، بحثًا عن مؤيدين للمشروع الصهيوني، لكن باءت محاولاته بالإخفاق، وترك المجال مفتوحًا من بعده، وتابع القضية حاييم وايزمان وزئيف جابوتنسكي ودافيد بن غوريون. كما كان الاختيار للاسم التاريخي للدولة اليهودية هو (دولة إسرائيل). كانت الأفضلية هي استعمال اسم (دولة إسرائيل) بدلًا من اسم (دولة اليهود) للتناسق بين اسم الدولة والاسم العبري لفلسطين، وهو (أرض إسرائيل: إيرتس إسرائيل)¹⁸.

في عام 1905م دعا حزب المحافظين البريطاني إلى عقد مؤتمر سرّي يهدف إلى المحافظة على تفوق الدول العظمى، وانهقد المؤتمر الذي ضمَّ الدول الاستعمارية، واستمرت مناقشاته وجلساته مدة عامين، وفي عام 1907م خرجت الدول الاستعمارية بوثيقة سرية سُميت وثيقة (كامبل) نسبة إلى رئيس الحزب الحاكم آنذاك، وقد وقع الاختيار على فلسطين لتصبح الدولة الحاضرة، لتكون الحد الفاصل بين قارتي إفريقيا وآسيا، فقد كان من أساليب تحقيق هدف هذه الوثيقة تقسيم الدول العربية؛ لتسهيل السيطرة عليها، وللحيلولة دون وحدة الشعوب في المنطقة العربية¹⁹.

كان أول نجاح للمنظمة الصهيونية العالمية هو وعد بلفور في 2 نوفمبر 1917م، وكان الوعد بتسهيل إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، فقد أعطى من لا يملك من لا يستحق²⁰. وقد عملت بريطانيا الكثير لإنجاح هذا المشروع الصهيوني على أرض فلسطين منذ بداية الانتداب البريطاني وحتى تسليم المشروع الصهيوني إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ لتكون المسؤولة عنه بالدرجة الأولى. واكتملت الدائرة عندما أنكرت الحركة الصهيونية وجود الفلسطينيين، ورسخت بين أنصارها مقولة (شعب بلا أرض لأرض بلا شعب)²¹. عملت الحكومة البريطانية جاهدة على إعطاء جميع الحقوق الدينية والمدنية والعسكرية لليهود؛ لإقامة دولتهم في فلسطين على حساب سكان هذه الأرض الأصليين. يقوم وعد بلفور على فكرة استقطاب جميع اليهود من أنحاء العالم لزرعهم في هذه البقعة من الأرض، خصوصًا من يحملون الفكر الصهيوني الديني من اليهود لأغراض سياسية²².

كان أول نجاح للمنظمة الصهيونية العالمية هو وعد بلفور في 2 نوفمبر 1917م، وكان الوعد بتسهيل إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، فقد أعطى من لا يملك من لا يستحق

شكّلت الحكومة البريطانية عام 1937م لجنة (بيل الملكية) للتحقيق في الأوضاع الميدانية في فلسطين، وقد توصلت اللجنة إلى أنه يستحيل أن يحكم فلسطين بأسرها أي من الطرفين العرب واليهود، لذلك كان الحل هو تقسيم الدولة إلى دولتين عربية تضم شرق الأردن، وأخرى يهودية مع بقاء الأماكن المقدسة وممر إلى يافا تحت الانتداب البريطاني، وطلبت اللجنة إلغاء الانتداب على فلسطين واستبدال نظام المعاهدات مع الدولتين المقترحتين به، وأوصت بتعيين لجنة لرسم

الحدود بينها. وافقت الحكومة البريطانية على قرار التقسيم بعد مضي عشرين سنة على وعد بلفور²³. رفضت القيادة الفلسطينية الموحدة ذلك القرار، بينما انقسم اليهود إلى فريقين: فريق أيدّ القرار، وقد عدّه خطوة أولى للاستيلاء على جميع فلسطين، وفريق عارضه وعدّه استسلاماً للأمر الواقع²⁴.

كان إصرار دول الغرب خصوصاً بريطانيا والولايات المتحدة على تسمية فلسطين بالعربية وليس الفلسطينية، في المقابل كان المسمى هو الدولة اليهودية من الطرف اليهودي. لاحقاً مع نهاية الحرب العالمية الثانية أخذت أمريكا موضع بريطانيا بالالتزام بالقضية اليهودية، فقد تبنّت الإدارة الأمريكية بمؤسساتها رسمياً كل ما جاء في وعد بلفور من دون أيّ تعديل يذكر، وقد تبنّى رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية القضية اليهودية وتعاطفوا مع الحركة الصهيونية بأهدافها في إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، حيث انعقد مؤتمر بليمور الصهيوني في مايو 1942م في مدينة نيويورك الأمريكية، الذي تبنّى مشروع يهودية الدولة لتكون على أساس الدين اليهودي، وإقامة جيش يهودي خاص بها تحت راية واحدة، وقد كانت المرة الأولى التي يُصرّح فيها بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين بصورة علنية في مؤتمر رسمي، وقد تنافس الحزبان الديمقراطي والجمهوري على استرضاء اليهود؛ لكسب أصواتهم في انتخابات الرئاسة عام 1944م، فقد وجّه الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في أكتوبر 1944م رسالة إلى الصهاينة في مؤتمر عقده اليهود الأمريكيون دعا فيه إلى الالتزام بتحقيق الأهداف الصهيونية، وهو ما خططت له الحركة الصهيونية، متجاهلة القومية والهوية الفلسطينية في سياستها نحو فلسطين²⁵.

توطدت العلاقات اليهودية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، ولاسيما خلال حكم الرئيس الأمريكي ترومان، إذ كانوا يصرّون على رفع القضية إلى الأمم المتحدة: المؤسسة الدولية التي أسسها المنتصرون بعد الحرب العالمية الثانية، وفي 28 أبريل 1947م أحيّلت القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة، وشكّلت لجنة سياسية، استمعت إلى جميع الأطراف، ثمّ انتهت إلى تشكيل لجنة دولية لتقصّي الحقائق في القضية الفلسطينية تُدعى يونيسكوب (UNSCOP)، وتتكون اللجنة من 11 دولة، مهمتها بحث المشكلة الفلسطينية، والتعرّف

إلى أحوال اليهود في أوروبا، ثم رفع توصياتها إلى الأمين العام للأمم المتحدة في وقت لا يتجاوز الأول من سبتمبر من العام نفسه.

صوتت الأمم المتحدة على مشروع الأغلبية، وحاز القرار رقم (181) على أغلبية أصوات الأعضاء، وكان نصيب الدولة اليهودية 55٪ من أراضي فلسطين التاريخية، ولم يكن اليهود يملكون سوى خمس هذه الأراضي، وكانت بريطانيا أعدت برنامجاً للنسحاب من فلسطين بالتنسيق مع قادة الحركة الصهيونية؛ لكي تتمكن من إقامة دولتها والاستيلاء على أكبر منطقة ممكنة من فلسطين، لكن بريطانيا لم تنسحب إلا بعد أن تأكدت أنها لن تحسر مصالحها في تلك المنطقة، فقد عقدت اتفاقاً مع الملك عبد الله الأول، ملك الأردن، بأن تكون فلسطين تحت رعايته.

حين صدر قرار التقسيم في نوفمبر 1947م أحدث هزة في المنطقة، فقد فهم القرار على أنه يعني قيام دولة دينية، دولة تنطلق من القاعدة اليهودية، ولاسيما أنه صدر قرار آخر متزامن بتقسيم شبه القارة الهندية وإقامة باكستان دولة للمسلمين في المقام الأول، وكانت إسرائيل تحاول أن تنفي عن نفسها فكرة أنها دولة دينية، بإبراز ما يتمتع به عرب فلسطين سواء المسلمون السنة أم المسلمون الدروز، أم المسيحيون من حقوق، وأنها دولة تُريد السلام مع جيرانها من الدول العربية، بينما جيرانها يريدون تدميرها، وأكدت إسرائيل مراراً وتكراراً أنها دولة ديمقراطية عمّتها الحرية في محيط من الديكتاتورية والاستبداد، بينما مؤسسو المشروع الصهيوني أكدوا أن الصهيونية حركة قومية تهدف إلى إقامة دولة دينية²⁶.

يهدف المشروع الصهيوني منذ بدايته إلى إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، وعندما أعلنت بريطانيا رغبتها في سحب قواتها من فلسطين عام 1948م قرر زعماء الأحزاب والمنظمات اليهودية والصهيونية إعلان قيام الدولة اليهودية في فلسطين، وهذا الإعلان سُمي (إعلان الاستقلال). وجاء في الإعلان "استناداً إلى حقنا الطبيعي والتاريخي، واستناداً إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة نعلن قيام دولة يهودية في أرض إسرائيل، هي دولة إسرائيل"، وقد حدّدت أهداف الدولة بأنها ستكون مفتوحة أمام الهجرة اليهودية، حيث يحق لكل يهودي في العالم أن يهاجر إلى إسرائيل وأن يستقرّ بها²⁷.

من الأهداف التي تضمنتها عملية تعميم فكرة يهودية إسرائيل، محاولة جذب مزيد من يهود العالم إلى إسرائيل، فالحركة الصهيونية وإسرائيل تُعدّان اليهود بمثابة المادة البشرية لتحقيق أهداف إسرائيل التوسعية من جهة، وركيزة لاستمرار المشروع الصهيوني برمته في المنطقة العربية من جهة أخرى. وفي هذا السياق يذكر أنه على الرغم من مرور نحو ستة عقود على إنشاء إسرائيل، فإن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لم تستطع جذب سوى 40٪ من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة، ولهذا يستغل قادة إسرائيل جميع المناسبات لتأكيد أهمية جذب مزيد من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة²⁸.



وثمة أسباب كامنة وراء نضوب الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة في السنوات القليلة الماضية، واحتمالات تراجعها في المستقبل، وفي مقدمة تلك الأسباب تراجع عوامل طرد اليهود من بلدانهم الأصلية، فضلاً عن تراجع عوامل الجذب المحلية الاقتصادية والأمنية؛ بسبب الظروف التي مرّت وتمرّ بها إسرائيل. وتبعاً لأزمة الهجرة اليهودية بفعل تراجع العوامل الطاردة والجاذبة، تسعى إسرائيل بالتعاون والتنسيق مع الوكالة اليهودية إلى تمويل حملات كبيرة ومنظمة في المستقبل من أجل جذب اليهود من كل دول العالم، في وقت باتت فيه أبواب هجرة يهود أوروبا وأمريكا الشمالية في حدودها الدنيا بسبب انعدام عوامل الطرد منها.

تجدر الإشارة إلى أن يهود العالم يتركزون بشكل رئيس في الولايات المتحدة، فمن بين 13 مليون يهودي في العالم هناك حوالي 5.5 ملايين يهودي في الولايات المتحدة، وأكثر من 5.6 ملايين يهودي في إسرائيل، و560 ألفاً في فرنسا، و400 ألف في روسيا، و360 ألفاً في كندا، و280 ألفاً في أوكرانيا، و280 ألفاً في بريطانيا، و220 ألفاً في الأرجنتين. وتشير الإحصاءات إلى أن نسب الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود في العالم وصلت في السنوات الأخيرة إلى ما بين 50 و80٪، وبخاصة في بعض المدن الأمريكية، الأمر الذي سيؤدي إلى تراجع مجموع اليهود في نهاية المطاف إلى أقل عدد ممكن. ومن بين مجموع اليهود في إسرائيل، هناك 40٪ أشكناز، أي من أصول غربية، و36٪ سفارديم، أي من أصول شرقية، من ضمنهم يهود الدول العربية، إضافة إلى 24٪ من يهود الصابرا أي لأب يهودي مولود في فلسطين المحتلة. يُعدّ اليمين الصهيوني الحالي برئاسة حزب الليكود امتداداً للحركات الصهيونية المتطرفة، حيث تشكّل حزب الليكود نتيجة اندماج عدد من الأحزاب عام 1973، منها حزب حيروت،

وهو التاج الأيديولوجي لما يُسمى بالحركة التصحيحية برئاسة فلاديمير جابوتنسكي، الذي يرى ضرورة الحصول على اعتراف عالمي بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين وشرق الأردن²⁹. وقد اتخذ الكنيست الإسرائيلي يوم الأربعاء في 16 يوليو 2003م قراراً بضرورة تعميق فكرة يهودية الدولة وتعميمها على دول العالم، ومحاوله انتزاع موقف فلسطيني، إلى جانب القرار المذكور. قدّم مشروع القرار الأعضاء البرلمانيون لكتلة الليكود في الكنيست، وشرّع بعد التصويت عليه. وقد تضمن القرار أيضاً إشارات إلى أن الضفة الغربية وقطاع غزة ليستا مناطق محتلة، لا من الناحية التاريخية ولا من ناحية القانون الدولي، ولا بموجب الاتفاقيات التي وقعتها إسرائيل. وقد دعا القرار إلى مواصلة تعزيز المستوطنات الصهيونية وتطويرها، وإلى التمسك بالخطوط الحمراء الصهيونية، وفي مقدمتها السيادة المطلقة على القدس بشقيها الغربي والشرقي المحتلين في عامي 1948م و1967م، والاحتفاظ كذلك بالمناطق الآمنة³⁰.

وكانت الحكومة الإسرائيلية قد صادقت في نوفمبر 2014م على قانون (يهودية الدولة) رغم معارضة وزراء حزبي (يش عتيد) بزعامه يائير لبيد، و(هتتوفا) برئاسة تسيغي ليفني الذين انسحوا لاحقاً من الائتلاف الحاكم. وينص القانون على أن إسرائيل "هي الدولة القومية للشعب اليهودي وفق مبادئ وثيقة الاستقلال، وبموجبه سيتم إخضاع النظام الديمقراطي إلى القيم والهوية القومية اليهودية، مع التأكيد على أن حق تقرير المصير الوطني بالدولة يبقى حصرياً للشعب اليهودي"، مما يعني إقصاء وتهميش فلسطينيي الـ48 الذين يشكلون 20٪ من التعداد السكاني للدولة. وفجرت المصادقة على القانون بالحكومة أزمة داخل الائتلاف وحلّه وتبكير الانتخابات، وكشفت عن عمق الصراع الديني بين الأحزاب الإسرائيلية، وتباين المواقف حول هوية الدولة³¹.

الاعتراف بيهودية إسرائيل:

منذ الإعلان عن قيام دولة إسرائيل عام 1948م، لم يُطالب الإقرار بيهودية الدولة، ربما لاعتبار قادة إسرائيل أن ذلك أمر مفروغ منه، وأنه مرتبط بالتعريف أو بالرغبة الإسرائيلية أولاً وأخيراً، لا بالقرار أو القبول العربي. وبعد النكسة عام 1967م، ظهر الحديث لأول مرة عن مطالبة الدول العربية الاعتراف فقط بدولة إسرائيل، في حين كان العمل يجري لفرض الهوية اليهودية على أنه أمر واقع.

وعلى الرغم من الانتصار الجزئي الذي حققه العرب في حرب أكتوبر 1973م، إلا أنهم لم يتمكنوا من تغيير تداعيات الحروب السابقة وإفرازاتها بشكل جوهري، بل على العكس، حيث صدرت القرارات الدولية لكي تؤكد القرارات السابقة، وتعطي إسرائيل حق المطالبة بحق الوجود، ضمن حدود آمنة، من غير التعرض إلى هوية هذه الدولة وطبيعتها³². وعندما انطلقت عملية التسوية السياسية بين إسرائيل والدول العربية، وخلال المفاوضات لم تطالب إسرائيل الاعتراف بها بصفتها دولة يهودية، وذلك وفقاً للقناعة الإسرائيلية الذاتية. ومع ذلك،

وعلى الرغم من أن مسيرة التسوية انطلقت وفق أسس لا تتضمن فكرة يهودية الدولة، إلا أن هذه الفكرة أخذت تظهر في طريق التسوية حيناً وتختفي أحياناً أخرى.

وُقِّع على اتفاقية أوسلو عام 1993م، واعترفت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل في الوجود، وهذا الاعتراف يعني الإقرار بشرعية ما فعلته إسرائيل منذ احتلال فلسطين. تعثرت العملية السياسية عام 2000م مع بداية الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وتزامن ذلك مع تأسيس (مؤتمر هرتسليا)، الذي يؤكد أن غاية إسرائيل الحفاظ على الدولة اليهودية، مدفوعة بعوامل داخلية وخارجية، ولاسيما تطورات الواقع الإقليمي، فإسرائيل تتطلع إلى أبعد من الاعتراف بحكم الأمر الواقع فقط بوجود دولة تُسمى إسرائيل³³. ويؤكد مؤتمر هرتسليا السنوي ميزان المناعة والأمن القومي في إسرائيل بعد فترة وجيزة من انهيار عملية التسوية السياسية بين إسرائيل والفلسطينيين واندلاع الانتفاضة الفلسطينية، ويُعد أول مؤتمر من نوعه في ارتباطه المباشر مع الأمن القومي الإسرائيلي، ومع التحديات الماثلة أمام إسرائيل داخلياً وإقليمياً وعالمياً³⁴.

حتى عام 2003م لم تُطرح فكرة يهودية إسرائيل على أجندة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، إلى أن حدث هذا الأمر لأول مرة بشكل علني ومباشر من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في قمة العقبة في 25 مايو 2003م، عندما أعلن التزام بلاده بضمان أمن إسرائيل بوصفها دولة يهودية نابضة بالحياة، على أنه تعبير واضح عن تبني واشنطن للتخفظات الإسرائيلية على خطة خريطة الطريق للسلام في الشرق الأوسط. يبدو أن القيادة الإسرائيلية وضعت تخفظاتها للتهرب من استحقاقات قضايا الحل النهائي، وفي المقابل أعلن بوش ضمان بلاده لأمن إسرائيل بهذه الصفة، أملاً بإعادة إطلاق مسار التسوية السياسية، وذلك على خلفية الخشية على إسرائيل من مضاعفات انتفاضة الأقصى. إلا أن مصطلح الدولة اليهودية في تصريح الرئيس الأمريكي يمثل غاية الخطورة ضد الفلسطينيين والعرب، حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعترف بالدولة على أساس من الدين، وإنما تعترف بها دولة ديمقراطية تشمل جميع الأديان والأجناس، خصوصاً أن قرار التقسيم 181 لا يعطي أفضلية لليهود على أساس الدين أو العرق، ولا يمكن للولايات المتحدة التصريح بهذا؛ لأن المادة الثانية والثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان توضحان حماية الحقوق السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية لكل فئة من السكان بدون تمييز عنصري³⁵.

لم تطرح إسرائيل مطلب الاعتراف بها دولة يهودية على أنه شرط لأي اتفاق إلا في أثناء انعقاد مؤتمر أنابوليس للسلام في أواخر عام 2007م³⁶. الحكومة الإسرائيلية طرحت هذا الأمر خلال لقاء أنابوليس، لا كشرط للتفاوض ولا حتى كشرط للاتفاق، وإنما لانتزاع تنازلات من الفلسطينيين، حيث رُفعت قضايا الوضع النهائي (القدس، والحدود، واللاجئين) من على جدول المفاوضات، مقابل حذف الإشارة إلى الدولة اليهودية. علماً أن رئيسة طاقم التفاوض الإسرائيلي ليفني سبق أن عبّرت عن اعتقادها بأن يهودية إسرائيل أمر يتكسر على أرض الواقع. واللافت أن الوفد الإسرائيلي الذي حضر مؤتمر أنابوليس تقدم باشتراط

أساسي للتوقيع على وثيقة مشتركة مع الوفد الفلسطيني بحيث تتضمن موافقة فلسطينية على فكرة يهودية الدولة، وذلك بغية إحداث وحدة موقف في المجتمع الإسرائيلي، لأن هذه الفكرة تحظى بإجماع إسرائيلي، خاصة مع الوضع الضعيف لرئيس الوزراء الإسرائيلي، يهود أولمرت، وحكومته الناتج عن تداعيات حرب يوليو 2006 م³⁷.

حتى عام 2003م لم تطرح فكرة يهودية إسرائيل على أجنحة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، إلى أن حدث هذا الأمر لأول مرة بشكل علني ومباشر من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في قمة العقبة في 25 مايو 2003م مع وصوله إلى البيت الأبيض مطلع عام 2009م، أكد الرئيس الأمريكي، باراك أوباما السعي إلى قيام دولة فلسطينية، وهو طرح لم يرق لبنيامين نتياهو، رئيس الحكومة الإسرائيلية، وهو الذي طالما ردّد عدم سماحه بقيام دولة فلسطينية، فضلاً عن عدم إيمانه باتفاقية أوسلو 1993 م. على هذه الخلفية، جعل نتياهو الإقرار الفلسطيني بيهودية إسرائيل شرطاً للتفاوض حول المسارات الثلاثة: الأمنية والاقتصادية والسياسية. معتبراً أنه شرط للوصول إلى اتفاق، أو إلى الحل النهائي

للصراع في فلسطين المحتلة، وفق رؤاه اليمينية الخاصة، المتمثلة بدولة فارغة من أي مضمون، وأقرب في الحقيقة إلى الحكم الذاتي الموسع³⁸. هكذا، أصبح قادة اليهود يتحدثون عن الشعب اليهودي في الدولة اليهودية، وقد اتضح ذلك في زعم بنيامين نتياهو أن "الشرط الأساسي لإنهاء الصراع هو الإقرار الفلسطيني العلني، الملزم والصادق، بإسرائيل دولة قومية للشعب اليهودي"، وقد أقدمت حكومته في أكتوبر 2010م على إجراء تعديلات على (قانون المواطنة) بحيث يتضمن أداء قسم الولاء للدولة اليهودية شرطاً لاكتساب الجنسية الإسرائيلية. وأضاف نتياهو شرطاً على الفلسطينيين بأن ربط الاعتراف بدولة إسرائيل بتجميد الاستيطان لبضعة أشهر³⁹.

افتتح نتياهو الدورة الشتوية للكنيست عام 2009م بتأكيد أن "حق وجود دولة يهودية، وحق الدفاع عن النفس، من أركان وجود الشعب اليهودي، وهناك ترابط عضوي بين هذين الحقيقتين..."، وصرح علناً بأن اسم دولة إسرائيل أصبح من الماضي. وقال كلمة خلال جلسة الكنيست لإحياء ذكرى زئيف جابوتينسكي، زعيم التيار التصحيحي الصهيوني اليميني: "إننا نطرح في هذه الأيام مطلباً حاسماً وحازماً وواضحاً ينص على اعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة للشعب اليهودي، كدولة يهودية. إن هذا الاعتراف ضمن اتفاق السلام يعتبر أمراً أساسياً ومبدئياً وضرورياً، غير أن السلام هو الذي يستوجب هذا الاعتراف"⁴⁰.

في أثناء تجدد المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية عام 2013م دعا رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتياهو الرئيس الفلسطيني محمود عباس إلى الاعتراف بأن إسرائيل دولة يهودية، كما دعاه إلى الطلب من شعبه أن "يتخلى عن وهم إغراق إسرائيل باللاجئين". إن التصريح الذي أطلقه نتياهو يعلن صراحة مقاومته لأي ضغوط قد يتعرض لها من قبل الرئيس الأمريكي للتخلي عن شرطه الأساسي بضرورة اعتراف السلطة الفلسطينية (بيهودية)

الدولة الإسرائيلية⁴¹. وكان وزير الخارجية الأمريكي، جون كيري، انتقد إصرار إسرائيل على ضرورة اعتراف الفلسطينيين بيهودية الدولة. لكن صحيفة هآرتس لفتت النظر إلى تصريح كيري في ديسمبر 2013م، الذي جاء فيه أنه "علينا أن نبحث عن سلام يعترف بأن إسرائيل دولة يهودية". كما لمح كيري، بحسب الصحيفة نفسها، إلى أن موضوع الدولة اليهودية ورقة مساومة فلسطينية في المفاوضات مع إسرائيل. ورأى وزير الخارجية الأمريكي أن بنيامين نتنياهو قدّم تنازلاً كبيراً، واتخذ قراراً في غاية الصعوبة، يمنح الفلسطينيين الفرصة لإضفاء الشرعية على المفاوضات، عن طريق تبادل الأراضي⁴².

وقد طالب وزير الخارجية الإسرائيلي، أفيغدور ليبرمان، الاعتراف باليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل من الدول العربية بأنهم لاجئون، ومقايضة أملاكهم بأملاك اللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا من وطنهم بقوة السلاح الصهيوني، أي يطالب مساواة المهاجر إلى بلد آخر بمحض إرادته باللاجئ الذي أجبر على ترك وطنه. لكن ليبرمان لم يطالب بتعويض عن أملاك مليون روسي يهودي هاجروا إلى إسرائيل خلال الأعوام السابقة وأملاكه الشخصية التي هجرها من بيلاروس. إن الهدف من هذه الحملة المركزة هو طمس الحقوق الفلسطينية في أرض فلسطين التاريخية، وأن الشعب الفلسطيني لم يكن موجوداً، وأن أرض فلسطين هي بلا شعب، وأنها لشعب بلا أرض⁴³.

من الواضح أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ستعمل في المدى القريب والبعيد على سنّ القوانين التي تؤمّن لها عملية الإقصاء الدائمة والتهميش المستمر للأقلية العربية التي يبلغ تعدادها نحو 1.6 مليون عربي فلسطيني، وستعقد مؤتمرات بمسئيات عديدة ل طرح أفكار عن الهاجس الديمغرافي الإسرائيلي جراء التزايد الطبيعي المرتفع بين العرب، وهذا ما حصل فعلياً في مؤتمرات هرتسليا السنوية. وفي هذا الإطار بالذات، تأتي دعوة ليبرمان إلى مبادلة الأراضي الفلسطينية التي تقوم عليها الكتل الاستيطانية الكبيرة في التجمعات الكبيرة داخل إسرائيل مع الدولة الفلسطينية القادمة. كما أن يهودية دولة إسرائيل تلغي حق عودة اللاجئين الفلسطينيين.

دوافع مطالبة الفلسطينيين الاعتراف بيهودية إسرائيل:

الهاجس الديموغرافي

المشكلة الديموغرافية تتعلق بسكان إسرائيل من فلسطيني 1948، حيث ستصل نسبة السكان العرب في إسرائيل إلى 35% خلال السنوات القادمة، وذلك سيلغي الدولة اليهودية التي ستتحول إلى دولة ثنائية القومية. أشار البروفيسور أرنون سوفار أستاذ الجغرافيا في جامعة حيفا إلى نهاية الكيان اليهودي خلال العقد القادم لأسباب ديموغرافية، كما جاء في مقال بصحيفة هآرتس، وبحسب رأيه سوف يشكل اليهود في عام 2020 أقلية في "أرض إسرائيل التاريخية"، إذ سوف يشكلون نسبة 42% فقط من المجموع العام للسكان، في حين أن العرب سيشكلون نسبة 58% من السكان⁴⁴. بينما تشير الدراسات الإسرائيلية المستقبلية



إلى أن اليهود سيصبحون أقلية ابتداء من نهاية العقد الحالي. وستنحسر نسبتهم مع نهاية عام 2020 إلى نحو 40٪ من السكان، مقابل 60٪ من الفلسطينيين. أما داخل إسرائيل حيث النسيج البشري هناك 20٪ من فلسطيني 48 ونحو 80٪ من اليهود، فتشير الدراسات إلى أن اليهود سيفقدون امتياز كونهم أغلبية سكانية مع حلول عام 2048، هذا هو المشهد الذي يربع القادة الإسرائيليين، الذي من شأنه بناء دولة ثنائية القومية، وهو الأمر الذي سيحبط المشروع الصهيوني⁴⁵.

وبناء عليه هناك إجماع صهيوني على نزع فتيل ما أسموه (القنبلة الموقوتة: الواقع الديموغرافي العربي في فلسطين) من خلال الخيارات الآتية: أولاً: التخلّص قدر الإمكان من الوجود العربي داخل أراضي 48، ثانياً: الحدّ من التزايد الديموغرافي لفلسطيني 48، ثالثاً: إلحاق فلسطيني 48 بالدولة الفلسطينية مع إبقائهم في أماكن سكنهم الحالية في مقابل بقاء المستوطنات في الضفة الغربية، رابعاً: زيادة عدد اليهود داخل إسرائيل من خلال الهجرة إليها.

إلغاء حق العودة:

إن مغزى حقّ العودة هو محو دولة إسرائيل اليهودية، حيث يشكل حق العودة للفلسطينيين جوهر الروح الوطنية، ولا يستطيعون التخلي عنه. إن الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية يخرج الجانبين من المصيدة، حيث هناك إمكانية لحدوث توازن لمسألة حق العودة، مما يهدئ المخاطر الخطيرة الكامنة في تلك المسألة. إلا أن نتيا هو يدرك أنه لا يوجد قائد فلسطيني يستطيع الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية.

وضع حدّ للصراع الإسرائيلي الفلسطيني:

الاعتراف بأن إسرائيل هي الوطن القومي للشعب اليهودي ورقة اختبار لوضع حدّ للصراع بشكل عام، فالأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمطلب نهاية الصراع الذي يتمحور حول أن للشعب اليهودي حقوقاً تاريخية ودينية في هذه البلاد. هكذا بإعطاء إسرائيل الحق في البحث عن أمن هذه الدولة وفق منطق (دولة آمنة لليهود)، وهذا يعني تبرير رفض العودة إلى حدود 1967، باعتبارها حدوداً غير آمنة، وهو الأمر المرجح. وهذا الأمر ينسف حق الشعب الفلسطيني في المقاومة⁴⁶.

تأكيد هدف الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود:

هدف الحركة الصهيونية النهائي هو إقامة وطن قومي لليهود، لذا فمن لم يعتقد أن للشعب اليهودي الحق في وطنه فهو عنصري، ومن لم يعتقد أن الوطن اليهودي يمتلك الشرعية الدولية فهو مخادع، فبدون الاعتراف بإسرائيل دولة للشعب اليهودي فإن المشروع الصهيوني سيتلاشى. هذا يتطلب الحصول على شرعية إقليمية ودولية، وإحداث تحول في خارطة الوعي في العالم العربي والإسلامي في حال القبول بيهودية الدولة، فالعلاقات بين إسرائيل والدول العربية المعتدلة في حالة جمود؛ بسبب قبول إسرائيل على أنها أمر واقع لا أنه كيان شرعي. إن الاعتراف بإسرائيل دولة قومية للشعب اليهودي يوضح أن إسرائيل ليست كياناً غريباً، بل هي جزء غير منفصل عن الشرق الأوسط، وسيُجبر العرب على الاعتراف بشرعية السيادة اليهودية.

تسوية العلاقات مع أوروبا المسيحية:

تسوية خلافات اليهود مع أوروبا المسيحية، فحتى اليوم لم تحل أوروبا مسألة التعميد اليهودي لديها. إن الاعتراف بإسرائيل دولة قومية للشعب اليهودي سيؤدي إلى اعتراف أوروبيٍّ بالمسؤولية الأخلاقية تجاه اليهود الذين طردوا من أوروبا خلال أربعينيات القرن الماضي، وهكذا تضمن أوروبا حقوق اليهود وتعويضهم عن المعاناة التي عايشوها في أوروبا، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية⁴⁷.

الموقف الفلسطيني:

الاعتراف بيهودية إسرائيل يعني التسليم بالرواية الإسرائيلية وما تقوم عليها، بأن كل أرض فلسطين لليهود، ولا حقوق للعرب والمسلمين فيها، ويعني أيضاً عدّ كل التاريخ الإسلامي والعربي فيما يتعلق بفلسطين ومدينة القدس غير صحيح، وكذلك يعني قبول ادعاءات الحركة الصهيونية بإنكار أي حضارة في فلسطين، والادعاء بأنها هي (أرض الميعاد) للشعب اليهودي. لكن، لا مانع من قيام دولة فلسطينية وفقاً لحسابات ومعايير إسرائيلية على جزء من الضفة الغربية بما يزيد أو يتقلص وفقاً لموازين اللحظة وحساباتها، ومقابل أثمان باهظة يدفعها الفلسطينيون من حقوق اللاجئين والقدس والمياه والسيادة⁴⁸.

عندما اعترفت إسرائيل بالشعب الفلسطيني عن طريق الرسائل المتبادلة لكون ذلك جزءاً من اتفاقية أوسلو في عام 1993م جاء ذلك بشكل فيه مواربة، من خلال الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلاً للشعب الفلسطيني من دون الاعتراف بحقوقه، بينما اعترفت المنظمة بحق إسرائيل في الوجود والعيش بأمن وسلام⁴⁹. وهناك من بين الفلسطينيين من اعترف بيهودية دولة إسرائيل من خلال توقيع اتفاقية جنيف بين إسرائيليين وفلسطينيين في عام 2003م، بينهم أمين سر منظمة التحرير السابق ياسر عبد ربه الذي يعلن الآن رفضه ليهودية إسرائيل من دون أن يعلن تخليه عن هذه الاتفاقية التي نصت على "حق كل من الشعب الفلسطيني واليهودي في دولة". ولا يغير من هذا الاعتراف ما جاء بعد ذلك من عبارة تحدثت عن "عدم الإجحاف بالحقوق المتساوية لجميع المواطنين في كل من الدولتين". فوعد بلفور أيضاً نص "على ضرورة ألا يُؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين"، ولكن ذلك لم يوقف اقتلاع الفلسطينيين وتشريدهم وارتكاب المجازر بحقهم. "إذ عندما يصبح أصحاب البلاد دخلاء تتم المطالبة بعدم الإجحاف بحقهم، فهذا يعني فتح الباب لاستباحتهم"⁵⁰.

هناك من يدعو من الفلسطينيين سراً من خلال رسائل إلى الرئيس الفلسطيني تطالبه بالاعتراف بيهودية دولة إسرائيل، أو التوصل إلى حل وسط، وبعضهم توقع أن يعترف الفلسطيني أن إسرائيل دولة يهودية وفقاً لما جاء في خريطة الطريق التي تنص على أن الحل يجب أن يتضمن إقامة دولتين، واحدة يهودية وأخرى فلسطينية. هؤلاء الفلسطينيون يُحدثون تصدعات في موقف الإجماع الفلسطيني إزاء الاعتراف بيهودية إسرائيل، ويراهنون على أنهم، بهذه الطريقة، يلقون الكرة في الملعب الإسرائيلي ويجرجون اليهود.

إذا أقدمت القيادة الفلسطينية على الاعتراف بأن إسرائيل دولة للشعب اليهودي، مقابل قيام دولة فلسطينية على جزء من الضفة الغربية، ومحرومة من استيعاب الشعب الفلسطيني كله، فإنها تتبنى الرواية الصهيونية للصراع⁵¹، التي تستند إلى أن فلسطين هي إسرائيل، وقد حررها اليهود لإقامة دولتهم الموعودة من أجل إقامة هيكل سليمان الثالث، وهذا يعني أن الضحية الفلسطينية تعطي الشرعية للجلاد الذي لن يعوضه، ولن يكفيه اعتراف العالم كله الذي لا يعادل اعتراف الشعب الفلسطيني به، لذلك تعطي حكومة نتنياهو كل هذا الاهتمام للاعتراف الفلسطيني بأن إسرائيل دولة يهودية.

إن تكرار حديث الرئيس الفلسطيني عن استطاعة إسرائيل أن تسمي نفسها دولة يهودية، وأن الفلسطينيين يمكن أن يعترفوا بها على هذا الأساس إذا اعترفت بها الجامعة العربية أو الأمم المتحدة، وإذا وافقت على حل متفق عليه لقضية اللاجئين وتخييرهم الشكلي في خيارات، ومن ضمنها خيار العودة إلى ديارهم إذا وافقت إسرائيل - يتناقض مع التأكيدات الفلسطينية المستمرة التي تكررهما كل الفصائل الفلسطينية عن عدم الاعتراف بيهودية إسرائيل، فمثل هذه القضية مرفوض من الفلسطينيين حتى لو اعترف العالم كله بها، ومثل هذه المواقف يشجع من يريدون كسر الموقف الفلسطيني الراض لتبني الرواية الصهيونية للصراع. لذلك، وفي مواجهة الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن يهودية إسرائيل، هناك رفض فلسطيني

من الأطياف السياسية الفلسطينية كافة، وقد توضّح الموقف الفلسطيني في مؤتمر أنابوليس حين رفض الوفد الفلسطيني المشارك القبول بطرح الوفد الإسرائيلي لفكرة يهودية إسرائيل، أو التوقيع على وثيقة تتضمن هذه الفكرة. جاء الرفض الفلسطيني انطلاقاً من أن الاعتراف بيهودية إسرائيل يغلق الباب أمام حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ويساعد في تنفيذ سياسة اضطهاد عرقي بحق الأقلية العربية داخل إسرائيل⁵².

السلطة الفلسطينية تلوّح بحلّ نفسها حتى لا تتحمل وزر إعلان قرار يهودية دولة إسرائيل رسمياً؛ لأن حدوث ذلك مع وجودها يدينها؛ لأنه يلغي الوجود الفلسطيني، فهذه قضية يرفضها العرب عامة والفلسطينيون خاصة. وقد رفضت القمة العربية الـ25 في الكويت الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل، وأعرب (إعلان الكويت) عن الرفض القاطع والمطلق للاعتراف بيهودية إسرائيل⁵³.

الخاتمة:

يُصّر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على يهودية إسرائيل، وأن أي حلّ نهائي للقضية الفلسطينية يجب أن يتضمن اعترافاً فلسطينياً بأن إسرائيل دولة للشعب اليهودي. هذا الإصرار يكشف أن الاعتراف بيهودية إسرائيل ليس مجرد اعتراف بهويتها اليهودية، وإنما يمسّ الأرض نفسها، بمعنى أنها حقّ للشعب اليهودي وملك له، لا ينازعه في ذلك الفلسطينيون والعرب والمسلمون. وبهذا تصبح أرض إسرائيل إلغاءً لفلسطين، ولأرض فلسطين، ولحقوق الشعب الفلسطيني التاريخية. إن منح يهودية إسرائيل أبعاداً قانونية وسياسية واعترافاً فلسطينياً وعربياً سيقضم كل الحقوق الفلسطينية والعربية، بما في ذلك حقّ العودة، وتقرير المصير، وهي حقوق بقيت مضمونة بموجب القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة.

لكنّ هناك جانباً معتبراً آخر لهذا المشروع، وهو أنه ليس مجعماً عليه إسرائيلياً، فهناك محلّون ومفكرون إسرائيليون ينعتونه بالعنصري، وهناك أيضاً من يؤكّد أنه يخالف الزعم بالقول إن إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط. كذلك إن من أهم أسباب التوجه لهذا المشروع هو أزمة هوية تعاني منها إسرائيل اليوم. فإسرائيل قامت على أساس ديني، وذلك لم يعد مفهوماً في عالم اليوم. لذا فإنها تبحث عن هوية جديدة على أساس يصطنع القومية، ولا يتعارض مع أهداف القوى اليمينية المسيطرة داخل إسرائيل. ومن خلال هذا المشروع تسعى إسرائيل جاهدة للتغطية على حقيقة نشأتها منذ البداية، حيث اعتمدت تجميع أناس من جنسيات وثقافات مختلفة لا يشكلون شعباً بالمعنى العلمي للكلمة.

إن التأكيد الحالي لمصطلح الدولة اليهودية يحمل في طياته توجّهاً إسرائيلياً بالحقاق فلسطيني 48 بالدولة الفلسطينية المستقبلية، بزعم الحفاظ على نقاء الدولة اليهودية، وعدم السماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بيوتهم داخل فلسطين المحتلة. وإن التصدي لهذه الفكرة يعني مواجهة تداعيات هذا المصطلح على مستقبل الأقلية الفلسطينية في إسرائيل، وعلى اللاجئين الفلسطينيين، إضافة إلى البعد الإستراتيجي لتلك الفكرة، المتمثل أساساً في تهيئة الظروف لجذب مزيد من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة، إذ تعدّ الهجرة اليهودية من أهم ركائز استمرار بقاء إسرائيل في المنطقة.

الهوامش والمصادر :

1. نبيل السهلي. مدى نجاح فكرة يهودية إسرائيل. صحيفة الحياة. 02 إبريل 2014. www.alhayat.com
2. أسامة أبو نحل. يهودية دولة إسرائيل جذور المصطلح و تأثيره على القضية الفلسطينية. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات - العدد الثالث والعشرون 01 حزيران 2011.
3. أسامة أبو نحل. المرجع السابق.
4. زينب الطحان. ماذا يعني أن تصبح (إسرائيل) دولة يهودية؟! موقع المنار. 06 www.almanar.com فبراير 2014
5. زينب الطحان. المرجع السابق.
6. هاني المصري. يهودية إسرائيل. صحيفة السفير. 11 مارس 2014. www.assafir.com
7. موقع إسرائيل باللغة العربية. 13 إبريل 2014. www.israelinarabic.com
8. نبيل السهلي. يهودية الدولة أم يهود لدولة إسرائيل؟ الجزيرة نت. 18 ديسمبر 2007. www.aljazeera.net
9. نبيل السهلي (2014). مرجع سابق.
10. صحيفة السوسنة، إسرائيل .. دولة دينية متشددة قريبًا، 17 يناير 2013. <http://assawsana.com>
11. صحيفة السوسنة، المرجع السابق.
12. محمد سلماوي. يهودية إسرائيل هي الحل. صحيفة المصري اليوم. 01 أكتوبر 2010. www.almasryalyoum.com
13. محمد سلماوي. المرجع السابق.
14. حلمي النمنم، إسرائيل والدولة الدينية. 04 يونيو 2009. صحيفة المصري اليوم. <http://today.almasryalyoum.com>
15. صحيفة هآرتس 2010/10/13
16. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. التقرير الإستراتيجي (14): يهودية (إسرائيل): الاستحقاقات والتداعيات. يوليو 2009. www.alzaytouna.net
17. نبيل السهلي (2007). مرجع سابق.
18. زينب الطحان. مرجع سابق.
19. أسامة أبو نحل. مرجع سابق.
20. أسامة أبو نحل. مرجع سابق.
21. هاني المصري. مرجع سابق.
22. زينب الطحان. مرجع سابق.
23. رضا محمد لاري. يهودية دولة إسرائيل. صحيفة المدينة. 09 مايو 2011. www.al-madina.com
24. أسامة أبو نحل. مرجع سابق.
25. أسامة أبو نحل. مرجع سابق.
26. حلمي النمنم. مرجع سابق.
27. تيسير المشاقبة. يهودية إسرائيل (الأبعاد، الأسباب، التداعيات): وجهة نظر إسرائيلية. دائرة المطبوعات والنشر، المملكة الأردنية الهاشمية. ديسمبر 2010. <http://www.dpp.gov.jo/2012>
28. نبيل السهلي (2007). مرجع سابق.
29. تيسير المشاقبة. مرجع سابق.
30. نبيل السهلي (2007). مرجع سابق.
31. الجزيرة نت. 24 نوفمبر 2014. يهودية الدولة... نكبة ثانية لفلسطين. www.aljazeera.net
32. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. مرجع سابق.
33. أنطوان شلحت. إرهابات التفكير بـ(الدولة اليهودية) . المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات

- www.arabs48.com, 2014, 11 إبريل 48. موقع عرب 48. مسارات. الدراسات الإستراتيجية- مسارات. 34. أنطوان شلحت. مرجع سابق.
35. أسامة أبو نحل. مرجع سابق.
36. رضا محمد لاري. مرجع سابق.
37. نبيل السهلي (2007). مرجع سابق.
38. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. مرجع سابق.
39. زينب الطحان. مرجع سابق.
40. أسامة أبو نحل. مرجع سابق.
41. عزة سامي. يهودية إسرائيل. صحيفة الأهرام. 04 مارس 2014. www.ahram.org.
42. زينب الطحان. مرجع سابق.
43. صحيفة النهار. 16 مارس 2014. www.annahar.com.
44. تيسير المشاقبة. مرجع سابق.
45. زينب الطحان. مرجع سابق.
46. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. مرجع سابق.
47. تيسير المشاقبة. مرجع سابق.
48. فلسطين أون لاين. الاعتراف بالدولة اليهودية يعني التسليم بالرواية الإسرائيلية!. 17 مارس 2014. www.felesteen.ps
49. هاني المصري. مرجع سابق.
50. هاني المصري. مرجع سابق.
51. هاني المصري. مرجع سابق.
52. نبيل السهلي (2007). مرجع سابق.
53. صحيفة النهار. 30 مارس 2014. http://newspaper.annahar.com